

أضواء البيان

@ 198 أي ينذرهم بأساً شديداً { مِّن لَّدُنْهُ وَيُذِشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَنًا } أي من عنده كما
تقدم . وهذا من عطف الخاص على العام ، لأن قوله { لِّيُذِشِّرَ بِأَسْأ شَدِيدًا مِّن
لَّدُنْهُ } شامل للذين قالوا اتخذوا ولداً ، ولغيرهم من سائر الكفار .
وقد تقرر في فن المعاني : أن عطف الخاص على العام إذا كان الخاص يمتاز عن سائر أفراد
العام بصفات حسنة أو قبيحة من الإطناب المقبول ، تنزيلاً للتغاير في الصفات منزلة
التغاير في الذات . .

ومثاله في الممتاز عن سائر أفراد العام بصفات حسنة قوله تعالى : { وَمَلَائِكَتِهِ
وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ } ، وقوله : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ
مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ } . .

ومثاله في الممتاز بصفات قبيحة الآية التي نحن بصدها ، فإن { الَّذِينَ قَالُوا
اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً } امتازوا عن غيرهم بفرية شنعاء . ولذا ساغ عطفهم على اللفظ
الشامل لهم ولغيرهم . .

والآيات الدالة على شدة عظم فريتهم كثيرة جداً . كقوله هنا : { كَذِبُ رَتِّ كَلِمَةٍ
تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ } ، وكقوله تعالى : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ
وَلَداً لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدْياً } ككاد السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًى } أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَداً
وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً } ، وقوله : { أَفَأَصْفَاكُمْ
رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِثْماً } إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ
قَوْلًا عَظِيماً } والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة . .

وقد قدمنا أن القرآن بين أن الذين نسبوا الولد ﷻ سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً
ثلاثة أصناف من الناس : اليهود ، والنصارى ، قال تعالى : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ
عِزِّيْرُ ابْنُ اللَّهِ } وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ
قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ } . والصنف الثالث مشركو العرب . كما قال تعالى عنهم : {
وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهِ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ } ، والآيات
بنحوها كثيرة معلومة . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ }
{ مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ } . .

يعني أن ما نسبوه له جلّ وعلا من اتخاذ الولد لا علم لهم به . لأنه مستحيل . .
والآية تدل دلالة واضحة على أن نفي الفعل لا يدل على إمكانه . ومن الآيات الدالة على
ذلك قوله تعالى : { وَمَا ظَلَمُوا نَاسًا وَلَا نَفْسًا وَلَا نَفْسًا هُمْ } لأن
ظلمهم